دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 45، عدد 4، ملحق 2، 2018

العرضة السنوية والعرضة الأخيرة للقرآن الكريم

*أحمد محمد مفلح القضاة**

ملخص

تناول هذا البحث موضوعاً في غاية الأهمية بالنسبة لنقل النص القرآني وتدوينه، ذلك أن العرضة الأخيرة التي عارض بها النَّبيّ محمد ﷺ جبريل ﷺ قبل وفاته بعدة أشهر كانت هي المراجعة النهائية للقرآن، وقد دارت كتب علوم القرآن والإسلام التي تناولت هذا الموضوع على روايات تحدثت عن اثنين أو ثلاثة من الصحابة هم الذين شهدوا العرضة الأخيرة، وعنهم أو عن أحدهم كان نقل النص القرآني للصحابة الذين قاموا بنقله لمن بعدهم، وهذا الموضوع خطير جداً لأنه يشكل مدخلاً للطعن في تواتر نقل القرآن، رغم أن قضية تواتر نقل القرآن إجماع لا يُماري فيه أحد. وقد حاول هذا البحث من خلال الحديث عن تلقي النَّبيّ للقرآن، وعرضة المراجعة السنوية، وتحديد مفهوم العرضة الأخيرة... أن يُثبت بالأدلة المؤكدة أن العرضة الأخيرة شهدها وتلقَّاها المئات من الصحابة، وعليه فلا مدخل للإشكالات الطاعنة في نقل القرآن وتواتره.

الكلمات الدالة: العرضة السنوية، العرضة الأخيرة، الخبر المتواتر.

المقدمـــة

هدفَ هذا البحث إلى معالجة مشكلة تجذرت وتعمقت على مدار القرون الماضية، حيث تناقلت الكتب التي طرقت هذا الموضوع الروايات الواردة، ومضت تحللها وتستشهد بها وتستنبط منها الفوائد في غفلةٍ عن المشكلة الكبرى، وهي أننا إذا أثبتنا اختصاص زيد بن ثابت أو ابن مسعود أو أبي بن كعب بشهود العرضة الأخيرة أدى ذلك حتماً إلى الطعن بتواتر القرآن إذ يشكل زيد – في تلقي القرآن ونقله – حلقة مكونة من شخص واحد بين النَّبيّ وبين سائر الصحابة. ومن هنا جاء هذا البحث ليعيد النظر في دراسة الروايات، مستفيدًا مما قرره العلماء والباحثون، لينتقل إلى تقرير ما تطمئن إليه النفس، استناداً إلى الأدلة القوية الظاهرة.

مشكلة البحث

تظهر المشكلة التي يعالجها هذا البحث من خلال ما عرضته كتب علوم القرآن عامةً من التأكيد على اختصاص رجل أو اثنين أو ثلاثة من الصحابة بحضور العرضة الأخيرة للقرآن، غافلةً عما تقود إليه هذه الفكرة من نقضٍ لما تقرر عند عامة علماء الإسلام من تواتر نقل القرآن الكريم، ومن هنا كان حرص الباحث على إيجاد حلٍّ لهذه المشكلة.

أهداف البحث

دارت دراسات كثيرة في مؤلفات علوم القرآن حول موضوع العرضة السنوية والعرضة الأخيرة للقرآن الكريم، لكنها لم تكن موفقة في الإجابة على مجموعة من الأسئلة ذات العلاقة، والتي تشكل الإجابة عليها حلاً لمشكلةٍ انبثقت عن استنتاجٍ غير دقيق، فكثير من كتب علوم القرآن تثبت لزيد بن ثابت اختصاصه بشهود العرضة الأخيرة، وبعضها تثبت ذلك لزيد بن ثابت وأبي بن كعب، وبعضها تضيف عبد الله بن مسعود، وأياً كان الأمر فهؤلاء ثلاثة في طبقةٍ من طبقات سند نقل القرآن، والثلاثة أقل بكثير من عدد التواتر، وهنا تقع المشكلة حيث يبدأ التشكيك بتواتر النص القرآني استناداً إلى هذا الاستنتاج، وقد هدف هذا البحث إلى معالجة هذا الموضوع بشكل أساسي، إضافة إلى جملةِ أهدافٍ فرعية تم تحقيقها، وتلخيصها في الخاتمة.

* كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، قسم القراءات القرآنية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية.
تاريخ استلام البحث 2016/3/14، وتاريخ قبوله 2016/8/23.

© 2018 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث في هذا الموضوع من عدة جهات، أهمها:

- الدفاع عن تواتر القرآن العظيم، الذي أجمع علماء الأمة سلفاً وخلفاً على اعتماده وتأكيده، ثم جاءت بعض دراساتهم في هذا الموضوع مشككةً فيه عن غير قصد.
- التوجيه السديد للروايات الثابتة بما يؤكد تواتر نقل القرآن بكثرة حفاظه في كل طبقة، وأول هذه الطبقات طبقة الصحابة الذين حضروا العرضة الأخيرة، وتلقوا القرآن وفقاً لها من فم النبي صلى الله عليه وسلم مباشرةً.

محتويات البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة، وفيها: مشكلة البحث وأهدافه وأهميته ومحتوياته والدراسات السابقة والكلمات الدالَّة.

المبحث الأول: العرضة السنوية، وفيه أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: بدء الوحي.

المطلب الثاني: حفظ النَّبيّ ﷺ للقرآن.

المطلب الثالث: عرض القرآن في رمضان من كل عام.

المطلب الرابع: بدء الرخصة بالقراءة على سبعة أحرف.

المبحث الثاني: العرضة الأخيرة، وفيه أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: معنى العرضة الأخيرة.

المطلب الثاني: من شهد العرضة الأخيرة من الصحابة؟

المطلب الثالث: معنى شهود العرضة الأخيرة.

المطلب الرابع: ما نزل من القرآن بعد العرضة الأخيرة.

ثم الخاتمة وتضمنت نتائج البحث.

وأرجو أن يكون هذا البحث قد وُفق في الوصول إلى حلٍّ صحيح لمشكلةٍ علميةٍ كانت تشكل مدخلاً للطعن في تواتر نقل القرآن، وأن تكون النتائج التي أفرزها هذا البحث متسقةً مع سياقه ومطالبه، وجديرة بلفت اهتمام العلماء والباحثين إلى مزيدٍ من التأكيد، والتلقي بالقبول.

الدراسات السابقة

- التحقيق والبيان فيما يتعلق بالعرضة الأخيرة للقرآن، للأستاذ الدكتور حسن عبد الجليل أستاذ التفسير بجامعة البلقاء – الأردن، بحث محكم منشور بمجلة معالم القرآن والسنة.
- العرضة الأخيرة دلالتها وأثرها، للدكتور ناصر بن سعود القثامي، بحث محكم منشور في العدد الخامس عشر من مجلة معهد الإمام الشاطبي – جدة، وصدر في صورة كتاب عن كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود بالرياض، ط 1 سنة 1436هـ.
- العرضة الأخيرة، للدكتور أسامة الحياني من الجامعة العراقية، بحث محكم منشور أو مقبول للنشر في مجلة جامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة.
- أحاديث العرضة الأخيرة جمع ودراسة، للدكتور رضوان لخشين من جامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة، وهو مقدم للنشر في مجلة في المغرب.
- كتب علوم القرآن عامةً، قديمها وحديثها، كالبرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ومناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان... حيث تناولت هذه الكتب موضوع العرضة السنوية والعرضة الأخيرة بإيجاز واقتضاب.

وقد قرأت بحث الدكتور حسن عبد الجليل، وبحث الدكتور ناصر القثامي، ورغم ما في البحثين من مادة علمية رصينة، وجهودٍ

مشكورة، فإن أياً منهما لم يتطرق إلى فكرة هذا البحث. ولم يتسنَّ لي الاطلاع على بحث الدكتور أسامة الحياني، والدكتور رضوان لخشين، أما كتب علوم القرآن فاطلعت على كثير منها فلم أجد جواباً شافياً مقنعاً، مما استدعى أن أقوم بهذا البحث.

العرضة السنوية: يُقصد بها مدارسة القرآن التي كانت تتم بين النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام في شهر رمضان من كل عام.

العرضة الأخيرة: يُقصد بها مدارسة القرآن التي تمت بين النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام في شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة، وهي مرتان؛ في كل مرةٍ ختمتان، ختمة عرض وختمة سماع.

الخبر المتواتر: هو الذي يرويه جمعٌ يستحيل في العقل تواطؤهم على الكذب، أو وقوعه منهم اتفاقًا من غير قصد، عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه، ويكون منتهى خبرهم الحسّ[1].

المبحث الأول: العرضة السنوية

المطلب الأول: بدء الوحي

كان بدء نزول الوحي على الرَّسُول ﷺفي ليلة القدر من شهر رمضان، وذلك في السنة الأولى للبعثة، فقد اعتاد ﷺ أن يذهب إلى غارٍ في قمة جبل من جبال مكة يقال له «غار حراء» فيقيم فيه شهراً من كل عام، حيث يأخذ ما يكفيه من الماء والزاد لعدة أيام، ويتوجه إلى ذلك الغار، فيقيم فيه أياماً يتفكر في الكون وخالقه، فإذا نَفِد ما معه من الماء والطعام، رجع إلى بيته فتزود[2]، ثم عاد إلى الغار، أو لحقته زوجته السيدة خديجة ببعض الماء والطعام. وحين بلغ الرَّسُول ﷺ من العمر أربعين سنة، جاءه الوحي وهو في غار حراء، في ليلة من ليالي شهر رمضان. فجاءه جبريل ﷺ، فقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فأخذه جبريل ﷺ فضمه إليه ضماً شديداً حتى خاف الرَّسُول ﷺ على نفسه، ثم أرسله جبريلﷺ فقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فضمه ثانية ثم أرسله فقال له: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ، فضمه ثالثة ثم أرسله فقال له: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[3]. ثم انصرف الوحي، ووقف محمد ﷺ برهة يتأمل فيما جرى له، ثم انطلق عائداً، وهو خائف مرتجف، فلما دخل بيته أخبر زوجته خديجة بما حصل له. وقال لها: «والله لقد خفت على نفسي». قالت له: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[4]. وهكذا بدأ نزول القرآن في ليلة القدر، وهي إحدى ليالي شهر رمضان، ثم تتابع نزوله في سائر الأيام والشهور، وظلت آيات القرآن تتنزل منذ بعثة النَّبيّ ﷺ حتى وفاته، وهي مدة تقدر بنحو ثلاث وعشرين سنة.

كان نزولُ الوحي على النَّبيّ ﷺ على إحدى صورتين؛ إحداهما أن يسمع له صوتاً مثل صلصلة الجرس، والثانية أن يتمثل ملكُ الوحي بصورة رجل، يدل على ذلك أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثَّلُ لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»[5].

المطلب الثاني: حفظ النَّبيّ ﷺ للقرآن

أدرك رسول الله ﷺ بعد بدء نزول القرآن عليه أنه مكلفٌ بأداء الرسالة الإلهية، ودعوة الناس إليها، وكانت طريقة تلقيه القرآن من جبريل ﷺ لا تعطيه الفرصة للمراجعة والحفظ في لحظة التلقي، فكان يخشى أن يفقد شيئاً من ألفاظ القرآن في أثناء تلقيه، فكان يحرك لسانه متعجلًا حفظ القرآن واستذكاره، فيسابق جبريلﷺ، وهو يلقي إليه القرآن، ويردد الآيات قبل أن ينتهي جبريل ﷺمن قراءتها، وكان يعاني من مشقة ذلك، فجاء القرآن يطمئنه، ويتكفَّلُ له بالحفظ المطلق للقرآن، وينهاه عن تلك العجلة، قال الله تعالى: (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما)[6]،وقال تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه[7].

عن ابن عباس في قوله تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به)[8]، قال: «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه)[9]قال: جمعَه لك في صدرك وتقرأه: (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)[10]. قال: فاستمع له وأنصت: (ثم إن علينا بيانه)[11]. ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل ﷺ استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النَّبيّ ﷺ كما قرأه»[12].

وهذه الآيات الكريمة تؤكد أن الله سبحانه تكفل بالقرآن حفظًا وجمعًا وبيانًا، وما على الرَّسُول ﷺ من أمره إلا وعيه وحفظه وتبليغه، بعد أن أعطاه الله ملكة تامة للحفظ، فصار إذا أتاه جبريل استمع، فإذا ذهب جبريل ﷺ قرأه كما قرأه عليه جبريل ﷺ، يحفظ السورة الطويلة كما يحفظ السورة القصيرة، وليس هناك فرصة لنسيان شيء منه أو ضياعه[13].

إضافة إلى ذلك فإن الله سبحانه قد وعد نبيه أن يقرأ القرآن فلا ينسى منه شيئاً، فقال تعالى: (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)[14]. قال الواحدي في تفسير (سنقرئك): «سنجعلك قارئا لما يأتيك به جبريل ﷺ من الوحي، (فلا تنسى)شيئًا. وهذا وعد من الله سبحانه لنبيه ﷺ أن يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شيء»[15].

أما الاستثناء في قوله تعالى: (إلا ما شاء الله)فقد بيَّن المفسرون أن المقصود بذلك: «فلا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه، وما نسخ الله تلاوته من القرآن»[16]، أو على معنى: «إلا ما شاء الله، وهو لم يشأ أن تنسى شيئا، كقوله تعالى: (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك)[17]، ولا يشاء. ويقال في الكلام: لأعطينك كُلَّ ما سألت إلا ما شئتُ، وإلا أن أشاءَ أن أمنعَك، والنيّةُ على ألّا يمنعه شيئًا. فعلى هذا مجاري الأَيمان، يُستثنى فيها ونيَّة الحالف التمام[18]. وإضافة إلى هذا كله، وزيادةً في الحفظ والتثبيت، فإن جبريل ﷺ كان يدارس النَّبيّ ﷺ ما نزل عليه من القرآن في رمضان من كل عامٍ مرة، وهذا ما سيتم الحديث عنه في المطلب الثالث.

المطلب الثالث: عرض القرآن في رمضان من كل عام

جاء في صحيح البخاري أن النَّبيَّ ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: «إن جبريل ﷺ كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»[19].

يدل هذا الحديث بمنطوقه على أن القرآن الكريم وعلى مدار مدة البعثة النبوية كانت تتم مراجعته سنويًا بحيث يأتي جبريل ﷺ إلى النَّبيّ ﷺ، فيعارضه القرآن، وقد دلت أحاديث أُخر على أن هذه المعارضة أو المدارسة كانت تتم في شهر رمضان، وفي كل ليلةٍ من لياليه حتى ينسلخ، وفي هذا نجد قول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريلﷺ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[20].

يقول ابن حجر: «وهذا ظاهر في أنه كان يلقاه كذلك في كل رمضان منذ أنزل عليه القرآن، ولا يختص ذلك برمضانات الهجرة، وإن كان صيام شهر رمضان إنما فُرض بعد الهجرة؛ لأنه كان يسمى رمضان قبل أن يُفرَض صيامه»[21].

أقول: ولا بد من استثناء سنة البعثة، وذلك لأنَّ نزول القرآن فيها بدأ في ليلة القدر، وهي في أواخر رمضان، ثم فتر الوحيُ، فانسلخ رمضان قبل أن يعود جبريل ﷺ مرةً أخرى.

ويظهر من تعريف العلماء للمعارضة أنها المدارسة لجميع ما سبق نزوله من القرآن الكريم[22]. وتكون بأن يقرأ جبريل ﷺوالنَّبيّ ﷺيسمع، ثم يقرأ النَّبيّﷺ وجبريل ﷺ يسمع، أو العكس، حتى يتم الاطمئنان والثقة إلى ضبط النصِّ وإتقان حفظه. فقد ورد في صحيح البخاري روايتان، إحداهما تقول:«... وكان جبريل ﷺ يلقاه كل ليلة في رمضان، حتى ينسلخ، يعرض عليه النَّبيّ ﷺ القرآن،...»[23]، والأُخرى تقول: «... كان يعرض على النَّبيّ ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه،...»[24]. وجمع ابن حجر بين الروايتين بقوله: «فيحمل على أن كلًا منهما كان يعرض على الآخر»[25].

وظاهر الروايات يؤكد أن لقاء المدارسة هذا كان يتم في الليل، لورود عبارة: «كل ليلة»، وقد علل القسطلَّاني ذلك «بأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم، والليل مظنَّة ذلك، بخلاف النهار فإن فيه الشواغل والعوارض على ما لا يخفى»[26].

وقد ذكر العلماء عددًا من الحِكَممن هذه المدارسة، فمن ذلك:

- احتمال تقسيم ما نزل من القرآن أجزاءً على ليالي رمضان، بحيث تتم قراءة جزء أي مقدارٍ معين كل ليلة.
- احتمال أن يكون في المدارسة إعادة القراءة مرةً بعد مرة، بحسب تعدد الأحرف التي نزل بها القرآن[27].
- المحافظة على القرآن محفوظًا في صدر النَّبيّ ﷺ.
- معرفة الناسخ والمنسوخ من المقابلة.
- استحباب المدارسة[28].

وأشار كثير من العلماء إلى أن المعارضة بمعنى المقابلة، من: «عارضتُ الكتابَ بالكتاب أي قابلته»[29]. وهذه المقابلة – بلا شك – على قدرٍ كبير من الأهمية في ضبط تلقِّي القرآن بكلماته وحروفه وحركاته وطريقة أدائه وتلاوته.

وجدير بالذكر أن هذه المعارضة، أو المدارسة كانت تتمُّ بين النَّبيِّ ﷺ وبين أمين الوحي جبريلﷺ، دون أن يكون هناك حضور لأحد من الصحابة، فالوحيُ شأنٌ خاصٌّ بالنَّبيّ ﷺ، ولو كان جميع الصحابة حاضرين ما تسنَّى لأحدٍ منهم أن يعرف شيئاً مما يدور

بينهما، ولا يمكن أن يسمعوا إلا مثل صلصلة الجرس[30]، كما ثبت ذلك في حديث الحارث بن هشام رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال،...»[31]، وسيأتي مزيد تأكيدٍ على هذه القضية عند الحديث عن العرضة الأخيرة.

كان الرَّسُول ﷺ يقرأ ما ينزل عليه، والصحابةُ حوله يسمعون بآذانهم ما يقرأ، فيعرفون عن طريق السماع حقيقة النظم القرآني، ويقفون على أسلوب أدائه، ويتكرر التلقي والسمع، فالرَّسُول ﷺ كان يحفظ القرآن، والصحابة يأخذون عنه ويحفظون، ثم يُكرر المحفوظ في الصلوات الخمس وفي مجالس التلاوة والتعليم، وهكذا حُفظ القرآن في صدر النَّبيّ ﷺ وصدور كثير من الصحابة رضوان الله عليهم[32].

المطلب الرابع: بدء الرخصة بالقراءة على سبعة أحرف

حين كان الرَّسُول ﷺ بمكة قبل الهجرة، كان يدعو المشركين إلى الإسلام، حتى أسلمت قِلةٌ منهم، وهؤلاء غالبيتهم من قبيلة قريشٍ ومَن ساكنَهم بمكة، فلم يكن بينهم اختلاف شديد في اللهجات، بل كانت لهجتهم واحدة أو متقاربة، ولذا لم يكن هناك حاجة لنزول القرآن على سبعة أحرف.

ولما هاجر الرَّسُول ﷺ إلى المدينة المنورة، وبدأ أصحابه يتزايدون، كان هؤلاء الأصحاب من قبائل مختلفة، فبعضهم من قريش، وبعضهم من الأوس ومن الخزرج ومن هذيل وأسلم ومزينة وغيرها من قبائل العرب، وهؤلاء كانت لهم لهجات متعددة، وكلما تقدم الزمان كثر الداخلون في الإسلام، وتنوعت قبائلهم، فكانوا بحاجة إلى التوسعة عليهم من خلال قراءة القرآن، بالطريقة التي توافق لهجاتهم. فكان نزول القرآن على سبعة أحرف في المرحلة المتأخرة، بعد صلح الحديبية الذي كان فتحًا مبينًا، وكانت له آثاره المباركة من خلال تضاعف أعداد الداخلين في الإسلام.

ومن الأدلة على هذا أن النَّبيّ كان عند أضاة بني غفار حين جاءه جبريل وراجعه واستزاده فزاده حتى انتهى إلى سبعة أحرف[33]. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن أضاة بني غفار موضع بالمدينة المنورة [34]. وأشار آخرون إلى أنه موضع قرب مكة[35]، وهذا هو الصواب، بدليل أن من الأضاة مكانًا يُقال له: التناضب، وفي حديث هجرة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: اتّعدتُ لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي بن وائل السهمي، التناضبَ من أضاة بني غفارٍ فوق سَرِف، وقلنا: أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحُبس هشام وفُتن فافتُتِن، وقدمنا المدينة،...[36]. والتناضب[37] على مقربةٍ من سَرِف، وفي سرف أقام النَّبيّ ﷺ أيامًا بعد عمرة القضاء، حيث تزوج بميمونة رضي الله عنها، وذلك في سنة سبع للهجرة[38]. فيغلب على الظن أن جبريل أتى النبيَّﷺ بالأحرف السبعة وهو عند أضاة بني غفار، في السنة السابعة للهجرة، إذ لا يُعرف أن النَّبيّ ﷺ كان عند ذلك المكان إلا تلك المرَّة التي كانت بعد عُمرة القضاء، ومعلومٌ أن عمرة القضاء واحدةٌ من الثمرات الإيجابية لصلح الحديبية.

ويستفاد من هذا أمورٌ، أهمها:

- أن أضاة بني غفار موضع قريبٌ من مكة على نحو ستة أميالٍ منها، أو أكثر بقليل.
- أن القراءة بالأحرف السبعة بدأت منذ ذلك الوقت.
- أن العرضات السنوية التي كانت بعد ذلك، أي في السنة الثامنة والتاسعة كانت تتم باستيعاب الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن. ومثل ذلك العرضة الأخيرة التي كانت في السنة العاشرة. فجميع السور والآيات التي نزلت قبل هذه الحادثة أقرأها الرَّسُول ﷺ لأصحابه بالأحرف السبعة، ليتمكن كل منهم أن يقرأ بما يتفق مع لهجته. وبهذا يكون القرآن جميعه قد أنزل على سبعة أحرف.

المبحث الثاني: العرضة الأخيرة

المطلب الأول: معنى العرضة الأخيرة

كان الرَّسُول ﷺ يلتقي بجبريل ﷺفي كل ليلة من ليالي رمضان يدارسه القرآن، وكانت مدارسة القرآن تتم بأن يقرأ جبريلﷺ والنَّبيّ ﷺ يسمع، ثم يقرأ النَّبيّ ﷺ على جبريل ﷺ، فيكون النَّبيّ قد تلقى القرآن سماعاً وعرضاً. وفي رمضان من كل سنة كان يتم عرض جميع ما سبق نزوله من القرآن بهذه الطريقة، ثم يقوم النَّبيّ بإقراء الصحابة والاستماع لقراءتهم للاطمئنان على إتقانهم وحفظهم. أما العرضة

الأخيرة، فقد كانت في آخر رمضان صامَهُ النَّبيّﷺ، وذلك في السنة العاشرة للهجرة، وقد تمت العرضةُ مرتين، بينما كانت العرضة في السنوات السابقة تتمُّ مرة واحدة[39]، وهذا يدل على زيادة توثيق القرآن الكريم وتثبيته في ذاكرة النَّبيّ ﷺ ليقوم بتبليغه بالصورة النهائية قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ويدلُّ لفظ معارضة على المشاركة من طرفين، بمعنى أن القرآن في رمضان الأخير تمت قراءته أربع مرات، فجبريل ﷺ يقرأُ والنَّبيّ ﷺ يستمع، ثم النَّبيّ ﷺ يقرأ وجبريل ﷺ يستمع، فهذه مرة بقراءتين، ثم كُررت مرةً أخرى. وبناء على هذه المعارضة تمَّ حفظ القرآن وكتابته في المصحف بترتيبه المعروف الآن.

إن حفظ الله تعالى للقرآن الكريم تم بطريقتين؛ الحفظ في الصدور، وهذا يتعلق بالأداء، والحفظ في الصحائف والسطور، وهذا يتعلّق بالرسم. والقرآن بجميع الأحرف التي نزل بها الوحي حُفظ كتابة وأداءً فلم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه شيء، والقراءة تؤخذ مشافهةً وسماعًا من أفواه العلماء المجوِّدين المتقنين، لا من المرسوم في المصاحف.

ومعلوم أن معظم سور القرآن وآياته كانت قد نزلت على الرَّسُول ﷺ، وأن الذي نزل بعد العرضة الأخيرة هو آيات قليلة منها قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم...)[40]، وقوله تعالى: (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله..)[41]، وآيات تحريم الربا في سورة البقرة، وآية الدين..، فقد ورد أن هذه الآيات من أواخر ما نزل[42]. فالرَّسُول ﷺ بعد أن صام رمضان من السنة العاشرة أمضى شوالاً وذا القَعدة وذا الحِجة، حيث حجَّ حِجَّة الوداع، ثم عاد إلى المدينة فأمضى بقية ذي الحِجَّة والمحرم وصفراً وتوفي في شهر ربيع الأول[43].

المطلب الثاني: من شهد العرضة الأخيرة؟

حين نستعرض الروايات الواردة في هذه المسألة تبرز أمامنا مشكلةٌ تتمثل في أمرين، هما:

– قلةُ المذكورين فيمن شهدوا العرضة الأخيرة، مما يشكل خطورةً على تواتر نقل القرآن.

– الغفلةُ عن توضيح معنى شهود العرضة الأخيرة، مما يوقع في لبسٍ، ويستدعي لدى بعض العلماء والباحثين تكلُّفاً في الإجابة عن مسألة تواتر نقل القرآن.

فمن حيث الرواياتُ نجد عدداً من النقول تتردد في كتب علوم القرآن قديمها وحديثها، دون تمحيصٍ، اعتمادًا على الثقة بمن نقلوها، وجميعها إما عن بعض الصحابة أو عمَّن بعدهم من العلماء، وهذه طائفةٌ منها:

1–«ويقال: إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريلﷺ، وهي التي بُيِّنَ فيها ما نُسخ وما بقي[44]. قال أبو عبد الرحمن السلمي: «قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفَّاه الله فيه مرتين، وإنما سُمِّيت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولّاه عثمان كتبة المصاحف رضي الله عنهم أجمعين»[45]. وأبو عبد الرحمن السلمي هو عبد الله بن حبيب، أحد كبار القراء من التابعين.

2–«كُتب الإمام على حرف أُبيّ في الأصح؛ لأنه على العرضة الأخيرة. وقيل على حرف زيد بن ثابت»[46].

3–«روينا بإسناد صحيح عن زر بن حبيش قال: قال لي ابن عباس أي القراءتين تقرأ؟ قلت: الأخيرة قال: فإن النَّبيّ ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل ﷺ في كل عام مرة. قال: فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النَّبيّ ﷺ مرتين، فشهد عبد الله – يعني ابن مسعود – ما نُسخ منه وما بُدِّل، فقراءة عبد الله الأخيرة»[47].

4–«أجمع الصحابة على كتابة القرآن العظيم على العرضة الأخيرة التي قرأها النَّبيّ ﷺ على جبريل عام قُبض، وعلى ما أنزل الله تعالى دون ما أذن فيه، وعلى ما صح مُستفاضًا عن النَّبيّ ﷺ دون غيره..»[48].

5–«ولقد كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرءون القراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات؛ ولذلك اعتمده الصديق في جمعه، وولّاه عثمان كتابة المصحف»[49].

6–«الترتيب العثماني هو الذي استقر في العرضة الأخيرة؛ كالقراءات التي في مصحفه، ولم يبلغ ذلك أُبيًّا وابن مسعود –رضي الله عنهما– كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه في مصاحفهما من القراءات التي تخالف المصحف العثماني؛ ولذلك كتب أُبيّ في مصحفه سورة الحفد، والخلع، وهما منسوختان. فالحاصل أني أقول: ترتيب كل من المصاحف بتوقيف، واستقرَّ التوقيف في العرضة الأخيرة على الترتيب العثماني، كما أن جميع القراءات والمنسوخات المثبتة في مصاحفهم بتوقيف، واستقرَّ التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية، ورتب أولئك ما كان عندهم ولم يبلغهم النسخ»[50].

7-«فأحضر الصحف التي جمع فيها القرآن في خلافة أبي بكر الصديق وكانت عند حفصة، وأحضر زيدَ بنَ ثابت ومن كان معه، وأمره بكتب المصاحف، فكتبها على العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل ﷺ في العام الذي قبض فيه،... »[51].

8-«بقي ما اكتتبه زيد نسخة واحدة، وهو قد تتبع ما فيها من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال، إنما ائتمنه أبو بكر لأنه حافظ، ولأنه من كتبة الوحي، ثم لأنه صاحب العرضة الأخيرة؛ وربما كان قد أعانه بغيره في الجمع والتتبع،...أما الكتابة فهي لزيد بالإجماع... أما ترتيب مصحف عثمان فهو نسق زيد بن ثابت. وهو صاحب العرضة الأخيرة، ولعله كان ترتيب مصحف أبي بكر أيضًا، لما مرَّ في الرواية عن زيد من أنه قابل بين الاثنين معارضة، والله أعلم»[52].

9-«اهتم أبو بكر بتحقيق هذه الرغبة ورأى بنور الله أن يندب لتحقيقها رجلًا من خيرة رجالات الصحابة هو زيد بن ثابت رضي الله عنه، لأنه اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان من حفاظ القرآن، ومن كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته ﷺ. وكان فوق ذلك معروفا بخصوبة عقله، وشدة ورعه، وعظم أمانته، وكمال خلقه، واستقامة دينه. فاستشار أبو بكر عمر في هذا فوافقه. وجاء زيد فعرض أبو بكر عليه الفكرة ورغب إليه أن يقوم بتنفيذها، فتردد زيد أول الأمر، ولكن أبا بكر ما زال به يعالج شكوكه، ويبين له وجه المصلحة، حتى اطمأن واقتنع بصواب ما ندب إليه، وشرع يجمع وأبو بكر وعمر وكبار الصحابة يشرفون عليه، ويعاونونه في هذا المشروع الجلل، حتى تم لهم ما أرادوا»[53].

10-«ومذهب الجمهور، أن الأحرف السبعة، التي قال فيها ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف متضمنتها العرضة الأخيرة التي عارض جبريل ﷺ بها النَّبيّ ﷺ. وقال الشيخ: هذا مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف وسائر أئمة المسلمين، فإنه ثبت في الصحاح، أنه كان يعارضه في كل عام مرة، وفي العام الذي قبض فيه عارضه مرتين، والآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي: التي أمر الخلفاء الراشدون بكتابتها في المصاحف، وجمع عثمان عليها الناس باتفاق من الصحابة»[54].

11-«أسند الخلفاء الأربعةُ جمع القرآن إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ، وهو الذي شهد العرضة الأخيرة، وكان من حفظة القرآن، وأعلم الصحابة، فقام بهذه المهمة خير قيام في مصحف أبي بكر وفي مصحف عثمان رضي الله عنهم»[55].

ونخلص من هذه النقول إلى مجموعة من النقاط، أبرزها:

- الذين حضروا العرضة الأخيرة هم: زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم.
- حضور زيد بن ثابت العرضة الأخيرة جاء في الرواية الأولى بصيغة: (ويقال)، وفي الثانية: (وقيل: على حرف زيد)، وهي صيغة تمريض وشكّ.
- الرواية الثالثة تبين أن قراءة عبد الله بن مسعود هي الأخيرة، وعليها كُتب المصحف.
- الرواية السادسة تبين أن أُبياً وابن مسعود قد نُسخت آياتٌ وسورٌ وقراءات من مصاحفهما، ولم يبلغهما ذلك.

ولا يتسع المقام لسرد الفروق بين هذه النقول والاجتهادات، التي كلما زادت زاد تشعُّبُ الخلاف بين ناقليها، مما يؤدي إلى نقل صورةٍ مُشوَّشةٍ عن جمع القرآن العظيم في أولى مراحله، فكان لا بد من المصير إلى طريقٍ آخر غير هذا الطريق.

أما الأمر الثاني فهو الغفلة عن بيان معنى شهود العرضة الأخيرة، مما ضيَّق الباب على النقلة، حيث أعوزتهم الرواياتُ، ولو أدركنا المقصود بذلك على حقيقته لكان فيه حلٌّ للإشكالات الواردة، وهذا يقتضي بيان المقصود بشهود العرضة الأخيرة.

المطلب الثالث: معنى شهود العرضة الأخيرة

في أثناء الحديث عن العرضة السنوية أشرتُ إلى أنه سيأتي مزيد بيان، فالمعارضة أو المدارسة كانت تتمُّ بين النَّبيِّ ﷺوبين أمين الوحي جبريل ﷺ، دون أن يكون هناك حضور لأحد من الصحابة، فالوحيُ شأنٌ خاصٌّ بالنَّبيّ ﷺ، ولو كان جميع الصحابة حاضرين ما تسنَّى لأحدٍ منهم أن يعرف شيئاً مما يدور بينهما، ولا يمكن أن يسمعوا إلا مثل صلصلة الجرس[56]. لكن النَّبيّ ﷺ – وهو المؤتمن على الوحي – يعلمُ أنَّ لزاماً عليه أن يقوم بتبليغ ما سمعه وقرأ به في العرضة الأخيرة، فكان يخرج – بعد أن ينصرف جبريل – إلى المسجد، فيلتقي ببعض الصحابة[57]فيُلقي عليهم ما تلقَّاه، وإذا حضر وقت الصلاة الجهرية تلا فيها الفاتحة وما تيسر من القرآن بحسب ما تلقَّاه في العرضة الأخيرة، وإذا قام الليل أخذ يرتل ويطوِّل القراءة مُتدبِّراً غيرَ مُبالٍ بمرور الساعات، وتَقَضِّي الأوقات[58]، فيصلي بصلاته كثيرٌ من الصحابة، لا سيَّما أهل الصُّفَّة الذين مبيتهم ومقيلهم في المسجد[59]. وعلى ذلك فإنَّ كُلَّ من ائتمَّ بالرَّسُول ﷺ فيرمضان من السنة العاشرة وما بعده إلى حين وفاة الرَّسُول ﷺ يكون قد حضر شيئاً من العرضة الأخيرة، ولا تُسعف الرواياتُ ببيان أسماء من

واظبوا على الحضور مع الرَّسُول ﷺ حتى يختم، وهو بلا شك قد ختم بهذه العرضة ختماتٍ عديدة، واستمرَّ يقرأ بها في الصلاة وغيرها، ويُقرئ أصحابه بها حتى لقيربه، وهو قد سنَّ لأمته الاستكثار من ختم القرآن حلًّا وارتحالًا[60]، وتحزيبه بحيث يختم القارئ في كل شهرٍ أو كل جمعةٍ[61]، أو كل ثلاثة أيام لمن كان مكثراً [62].

الرَّسُول ﷺ مأمورٌ ومكلفٌ أن يبلغ ما أُنزل إليه من ربه، قال تعالى: (يا أيها الرَّسُول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)[63]، فتبليغه القرآن بحسب العرضة الأخيرة داخلٌ ضمن هذا التكليف، ولا يكفي أن يبلغ به واحداً أو اثنين أو ثلاثة، كما أنه لا دليل مع القائلين باختصاص زيد أو ابن مسعود أو أُبيٍّ بالعرضة الأخيرة.

وهؤلاء الصحابة بحرصهم على صحبة الرَّسُول ﷺومجالسته والمكث معه، وبما عُرف عنهم من حُبِّ القرآن والرغبة في سماعه وتلاوته وتعلُّمه، لم يكونوا ليفوتوا فرصةً من فرص العلم والخير، وكان المسجد يجمعهم خمس مراتٍ كل يومٍ وليلة، لا يغيب عنه إلا معذورٌ بمرض أو سفر، أو من كان بعيد الدار فيكتفي بالصلاة في مسجد قومه، ثم يأتي المدينة كلما سنحت له الفرصة. وكانوا أيضاً متفاوتين في قُدرتهم على الحفظ والاستذكار، ولكنَّ عدداً غير قليل منهم كانوا من المشهود لهم بقوة الحفظ وسرعته، فالصّحابة كانوا من أُمّة يُضرب بها المثل في الذّكاء وقوة الحافظة وصفاء الطّبع، وحدّة الخاطر، حتى لقد كان بعضهم يحفظ ما يسمعه لأوّل مرّة مهما طال وكثر، وكانت صدورهم سجلَّ أنسابهم، وكتاب وقائعهم وأيّامهم، وحين جاءهم الإسلام أرهف فيهم هذه المواهب، وزادهم من تلك المزايا والخصائص بما صقل من طبائعهم، وطهَّر من نفوسهم وقلوبهم، فكيف وهم يستمعون لأصدق الحديث وهو كتاب اللَّه، ولخير الهدي، وهو هديُ محمد ﷺ[64].

الرَّسُول ﷺ بعد أن نزلت عليه الأحرف السبعة، لم يكن ليذرها ويذر الإقراء بها، ويعود إلى الإقراء بحرفٍ واحدٍ، فهو الذي قال لجبريل ﷺ مرةً بعد مرة: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك[65]، وقال أيضاً: أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[66].

والصحابة – بما عرفنا من حرصهم وإقبالهم على القرآن كانوا جديرين بأن يتلقَّوا هذا القرآن حفظاً مكيناً ثابتاً في صدورهم، وعنايةً بكتابته وتدوينه، وتطبيقاً لآياته في سائر أمور حياتهم. وبهذا لا نكون محتاجين إلى روايةٍ تقول: إن زيداً شهد العرضة الأخيرة، أو أن أبيَّاً أو ابن مسعودٍ قد شهد العرضة الأخيرة، فذلك أمرٌ لا مريةَ فيه، إذ هو تحصيل حاصل، ولا يُضيف جديداً. فالحقُّ أن الذين شهدوا العرضة الأخيرة هم الذين كانوا يواظبون على الحضور مع رسول الله في مجالسه، وفي صلاة الفريضة وصلاة الليل بمسجده، وما أكثرهم! وسيأتي ذكر أسماء عددٍ منهم.

بقي أن أُشير إلى حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه: «جمعَ القرآن على عهد النَّبيّ ﷺ أربعةٌ، كلهم من الأنصار: أُبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت. قلت لأنس: مَن أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي»[67].

هذا الحديث حاول العلماء أن يفهموه على وجوه متعددة، لكن الذي استوقفني منها قولُ ابن بطَّال: «قول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة. قولٌ يتعذر العلم بحقيقة ظاهره، وله وجوه من التأويل: أحدها: أنه لم يجمعه على جميع الوجوه والأحرف والقراءات التي نزل بها إلا أولئك النفر فقط، وهذا غير بعيد؛ لأنه لا يجب على سائرهم ولا على أولئك النفر أيضًا أن يجمعوا القرآن على جميع حروفه ووجوهه السبعة، والثاني: أنه لم يجمع القرآن ويأخذْه تلقينًا من في النَّبيّ ﷺ غير تلك الجماعة فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه وبعضه عن غيره...»[68].

ومن توجيهات العلماء لهذا الحديث قول ابن حجر: «ويحتمل أن يكون أنس حدث بهذا الحديث في وقتين فذكر مرة أُبيَّ بن كعب ومرةً بدله أبا الدرداء وقد روى ابن أبي داود من طريق محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسةٌ من الأنصار؛ معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأُبيُّ بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب الأنصاري. وإسناده حسن مع إرساله،.. ومن طريق الشعبي قال: جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ ستةٌ، منهم: أبو الدرداء ومعاذ وأبو زيد وزيد بن ثابت.. وإسناده صحيح مع إرساله»[69].

وتتفق كلمة العلماء على أن العدد أربعة في قول أنس لا مفهوم له، وغير مراد به العدد، لأن أنسًا نفسه ذكر سبعةً لا أربعة، ولأن الواقع يشهد أن عشرات الصحابة كانوا يحفظون القرآن، وهؤلاء الأربعة أو السبعة الذين ذكرهم أنس كلهم من الأنصار، وإنما أسلم الأنصار بعد إسلام عامة المهاجرين بسنوات، وليس معقولاً أن يسبقوا المهاجرين إلى حفظ القرآن، ولا يُنكَر أن الخلفاء الأربعة كانوا في مقدمة الحفاظ، ولذا وجدنا كثيراً ممن شرحوا هذا الحديث يوردون أسماء كثير ممن حفظوا القرآن من الصحابة، مثل: «مُجَمِّع بن جارية الأنصاري الأوسي الصحابي الذي جمع القرآن في عهد النَّبيّ ﷺ»[70]، وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النَّبيّ ﷺ، فعدَّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعدًا وابن مسعود وحذيفة وسالِمًا وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة، ومن النساء: عائشة وحفصة وأم سلمة، وذكر ابنُ أبي داود من المهاجرين أيضًا تميمَ بن أوس الداري، وعقبة بن عامر، ومن الأنصار: معاذاً أبا حليمة،

وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وعن ابن عباس قال: توفي رسول الله ﷺ وقد قرأتُ القرآن وأنا ابن عشر سنين، فظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهده ﷺ لا يحصيهم أحدٌ، ولا يضبطهم عدد»[71].

قال النووي: «ومع هذا فقد روى غيرُ مسلم حِفظَ جماعات من الصحابة في عهد النَّبيّ ﷺ، وذكر منهم المازريُّ خمسة عشر صحابيًا، وثبت في الصحيح أنه قُتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآنَ، وكانت اليمامةُ قريبًا من وفاة النَّبيّ ﷺ، فهؤلاء الذين قُتلوا من جامعيه يومئذ، فكيف الظن بمن لم يُقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها وبقي بالمدينة أو بمكة أو غيرهما؟ ولم يُذكر في هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم في الخير وحرصهم على ما دون ذلك من الطاعات، وكيف نظن هذا بهم ونحن نرى أهلَ عصرنا حَفِظهُ منهم في كل بلدة ألوفٌ مع بُعد رغبتهم في الخير عن درجة الصحابة، مع أن الصحابة لم يكن لهم أحكام مقررة يعتمدونها في سفرهم وحضرهم إلا القرآن وما سمعوه من النَّبيّ ﷺ، فكيف نظن بهم إهمالَه؟ فكل هذا وشبهه يدل على أنه لا يصح أن يكون معنى الحديث أنه لم يكن في نفس الأمر أحد يجمع القرآن إلا الأربعة المذكورون»[72]. هذا عدا عمّن حفظوا من القرآن أكثره أو نصفه أو ثلثه أو أجزاءً منه، وهم كثيرون جدًا.

وإذا أخذنا بتوجيه ابن بطَّال لقول أنس بأن معناه: لم يجمع القرآن على جميع الوجوه والأحرف والقراءات التي نزل بها إلا أولئك النفر – يعني السبعة المذكورين في الروايات عن أنس– وهم: أُبيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري. كان المقصود أن هؤلاء السبعة هم الذين واظبوا على الحضور مع رسول الله بعد العرضة الأخيرة حتى سمعوا قراءته للقرآن كاملاً، وتلقوا سماعاً جميع الأحرف التي نزل بها القرآن. وإذا أخذنا أيضا بالتوجيه الثاني الذي ذكره ابن بطَّال بقوله: لم يجمع القرآن ويأخذْه تلقينًا من في النَّبيّ ﷺ غير تلك الجماعة... أمكننا أن نقرر مطمئنين أن هؤلاء السبعة قد واظبوا على شهود العرضة الأخيرة، على المعنى الذي تقرر من قبل. وإذا كان أنس في رواياته قد أخبر بما علمه عمن جمع القرآن من الأنصار، ولم يقصد الحصر، ولم يتعرض لذكر من جمعه من المهاجرين احتمل الأمر أن يضاف إلى هؤلاء كثير من المهاجرين كالخلفاء الأربعة وابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وكأبي موسى الأشعري... وأن يدخل غير هؤلاء أيضاً ممن عُرفوا بأنهم من الحفاظ كمُجمِّع بن جارية وتميم الداري وفضالة بن عبيد، وأيضا: عائشة وحفصة وأم سلمة...

على العرضة الأخيرة اعتمد الصحابة في قراءة القرآن، ثم في جمعه بعد زمن النَّبيّ؛ لأن ما لم يثبت فيها من أوجه القراءة فقد نُسخ، وما ثبت فيها فهو القرآن الْمُتَعبَّد بتلاوته إلى يوم القيامة . وقد كان النَّبيُّ ﷺ يخبر أصحابه بِما يحدث من النسخ، وبما يُحتاج إلى معرفته من معاني القرآن التي علَّمه إياها جبريل ﷺ.

وكان الرَّسُول ﷺ حريصا على القراءة وفق ترتيب المصحف، وإن خالفه مرة أو مرات فذلك لبيان الجواز[73]، ويؤكد ذلك طائفة من الروايات الثابتة، منها:

- حديث أوس بن حذيفة قال: «قدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في وفد ثقيف... قال أوس: فسألت أصحاب النَّبيّ ﷺ: كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده»[74]. فهذا الحديث يستوعب جميع سور القرآن بعد الفاتحة، مرتبة كما هي في المصحف، فالثلاث: البقرة وآل عمران والنساء، والخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة، والسبع: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل، والتسع: الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان، والإحدى عشرة: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس، والثلاث عشرة: الصافات وص والزمر وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف ومحمد والفتح والحجرات، والمفصل من سورة ق إلى آخر القرآن. وكان الرَّسُول ﷺ يجمع المفصَّل في ركعة.
- عن عبد الله بن مسعود قال: «بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي[75]. فذكر هذه السور الخمس مرتبةً كما هي في المصحف.
- قال السيوطي: «وروينا عن جابر بن زيد، وابن عباس في ترتيب نزول السور: أن الحواميم نزلت عقب الزمر، وأنها نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف: المؤمن، ثم السجدة، ثم الشورى، ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ولم يتخللها نزول غيرها»[76].

فهذه الأدلة كافية في بيان أن العرضة الأخيرة رتبت سور القرآن الكريم هذا الترتيب المصحفي المعروف إلى يومنا هذا.

المطلب الرابع: ما نزل من القرآن بعد العرضة الأخيرة

كانت العرضة الأخيرة بمنزلة المراجعة النهائية للكتاب الحكيم، عُرض فيها القرآن مرتين، فأُثبِت فيه جميع الأوجه الثابتة غير المنسوخة، وترك ما نُسِخ منه، فما ثبت في هذه العرضة هو القرآن المحكم المعجز المتعبد بتلاوته إلى يوم القيامة، وما لم يثبت فإما أن يكون قرآنًا منسوخًا، أو أنه ليس بقرآن.وكانت العرضة الأخيرة في رمضان من السنة العاشرة للهجرة، وتوفي النَّبيّ في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة، فهذه نحو ستة أشهر عاشها النَّبيّ بعد العرضة الأخيرة، وحج بالمسلمين حجة الوداع، وعلَّم كثيراً من الوافدين إلى المدينة، وأسمع الناس القرآنَ مراتٍ في صلاته ومجالسه التي كانت حافلةً بالتعليم والإرشاد والإقراء. وفي أثناء ذلك كان الوحي ينزل على الرَّسُولﷺ، رغم أن معظم السور والآيات قد نزلت، ورُتبت وحفظ كثير من قراء الصحابة ترتيبها.

ومما نزل بعد العرضة الأخيرة:

- قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) فقد نزلت يوم عرفة والنَّبيّ ﷺبِها[77].
- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا... وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلىَ اللهِ)[78].
- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجل مسمى فاكتبوه..)[79].

قال السيوطي: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات، في آية الربا، وَاتَّقُوا يَوْمًا، وآية الدين؛ لأن الظاهر أنَّها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنَّها في قصة واحدة، فأخبر كلٌّ عن بعض ما نزل بأنه آخِرٌ، وذلك صحيح [80].

والخلاصة أن ما نزل بعد العرضة الأخيرة من آيات القرآن لم يكن إلا شيئا يسيرا، ولا بد أن يكون الرَّسُولﷺقد تلقاه وعلَّمه لأصحابه، وأمر كُتَّاب الوحي أن يضعوا كل آيةٍ في موضعها من الصحف التي كانوا يكتبونها، واستمرَّ يقرأ ويُقرئ بها في الختمات اللاحقة، بحسب ترتيبها في مواضعها.

الخاتمة ونتائج البحث

تناول هذا البحث موضوعاً في غاية الأهمية بالنسبة لنقل النص القرآني وتدوينه، فالعرضة الأخيرة التي عارض بها النَّبيُّ محمد ﷺ جبريل ﷺ قبل وفاته بعدة أشهر كانت هي المراجعة النهائية للقرآن، وقد تحدث العلماء والباحثون في عشرات المصادر والمراجع عن روايات تجعل نقل القرآن في صيغته النهائية مقصورًا على واحدٍ أو اثنين أو ثلاثة من الصحابة، ووصفوهم بأنهم الذين شهدوا العرضة الأخيرة، وعنهم أو عن أحدهم نُقل النص القرآني لبقية الصحابة الذين قاموا بنقله لمن بعدهم، وهذا الموضوع يشكل مدخلاً للطعن في تواتر نقل القرآن، رغم اتفاق الجميع على تواتر نقل القرآن، وتأكيد العلماء والباحثين على إثبات التواتر، أو الانتصار له. وقد حاول هذا البحث من خلال ما جاء فيه من مباحث ومطالب أن يصل إلى تقرير حقائق ونتائج جديرة بالدراسة لتحظى بمزيدٍ من التأكيد والتأييد، وفي سبيل الوصول إلى هذه النتائج كان لا بد من الحديث عن بدء الوحي، وتلقي النَّبيّﷺ للقرآن، وعرضة المراجعة السنوية، وتحديد مفهوم العرضة الأخيرة، وبيان من شهدها من الصحابة.

ولا شك أن من سيقرأ هذا البحث سيجد فيه معالجة لمشكلة تجذَّرت وتعمَّقت على مدار القرون الماضية، وكان في روايتها من الإشكالات ما يفتح الباب أمام الطعن بتواتر نقل القرآن. ومن هنا جاء هذا البحث ليعيد النظر في دراسة الروايات، مستفيدًا مما قرره العلماء والباحثون، لينتقل إلى تقرير ما تطمئن إليه النفس، استنادًا إلى الأدلة القوية الظاهرة.

أما النتائج التي توصل إليها هذا البحث، فأهمُّها:

- كان القرآن يُقرأ بطريقة واحدة منذ بدء نزول الآيات الأولى منه في السنة الأولى للبعثة النبوية، واستمر كذلك إلى السنة السابعة للهجرة.
- بدأ نزول القرآن على سبعة أحرف بعد عمرة القضاء التي تمت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة، حيث التقى جبريلﷺ بالنَّبيِّﷺعند أضاة بني غفار، وأوحى إليه بذلك.
- أضاة بني غفار موضع يبعد عن مكة ستة أميالٍ أو أكثر بيسير، وهو بالقرب من (سَرِف) التي أقام بها النَّبيّﷺأيامًا بعد عمرة القضاء، وتزوَّج بأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، وليس كما هو شائع عند كثير من الباحثين بأن أضاة بني غفار موضع قرب المدينة المنورة.
- كانت العرضة السنوية في رمضان من السنة الثامنة مراجعة لما نزل من القرآن فيما سبق بالإضافة إلى الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وكذلك العرضة التي في السنة التاسعة، لأنهما تمَّتا بعد الإذن بالقراءة على سبعة أحرف.

- كانت العرضة الأخيرة في السنة العاشرة مراجعةً نهائية لجميع ما نزل من القرآن، وبالأحرف السبعة، وتمت مرتين، في كل مرة ختمتان.
- حضور العرضة الأخيرة ليس معناه الاستماع إلى جبريل ﷺوهو يعرض على النَّبيّﷺ، ولا الاستماع إلى النَّبيّﷺوهو يعرض على جبريلﷺ، وإنما معناه أنه بعد أن ينصرف جبريل ﷺيخرج النَّبيّﷺفيقرأ على من حضر من الصحابة، ويقرأ في الصلاة الجهرية وفي قيام الليل، فيسمعه الصحابة، ويدارسهم فيه ليطمئن على صحة أخذهم للقرآن بصورته الأخيرة.
- حضر العرضة الأخيرة جمع كبير من الصحابة، وكثيرٌ منهم حفاظ متقنون لجميع آيات القرآن، ومنهم من يحفظ نصفه أو ثلثه أو أكثر أو أقل، ولا يملك أحد دليلًا على حجبهم أو غيابهم عن الرسول في الأشهر الأخيرة من حياته، أو عدم سماعهم لقراءته القرآن حسبما تلقَّاه في العرضة الأخيرة.

ليس هناك أي دليل مقبول على اختصاص زيد بن ثابت أو ابن مسعود أو أُبيِّ بن كعب من دون سائر الصحابة بحضور العرضة الأخيرة.

الهوامش

(1) الدفاع عن السنة، مناهج جامعة المدينة العالمية – ماليزيا، ص 205.

(2) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أول ما بُدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح،.. وحبب إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه منها، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه– وهو التعبد– الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء.. انظر: البخاري، الجامع الصحيح ج1، ص5، وابن سعد، الطبقات الكبرى ج1، ص194، وابن هشام، السيرة النبوية ج1، ص234.

(3) سورة العلق، الآيات (1–5). انظر: البخاري، الجامع الصحيح، ج1، ص5، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص194، وابن هشام، السيرة النبوية ج1، ص234.

(4) البخاري، الجامع الصحيح ج1، ص4، رقم 3، ومسلم، المسند الصحيح المختصر، ج1، ص139، رقم الحديث (160).

(5) انظر: البخاري، الجامع الصحيح، ج1، ص6، باب بدء الوحي، رقم الحديث (2).

(6) سورة طه، الآية (114).

(7) سورة القيامة، الآيات (16–19).

(8) سورة القيامة، الآية (16).

(9) سورة القيامة، الآية (17).

(10) سورة القيامة، الآية (18).

(11) سورة القيامة، الآية (19).

(12) البخاري، الجامع الصحيح، ج1، ص8.

(13) انظر: غانم قدوري، محاضرات في علوم القرآن، ص 26– 27.

(14) سورة الأعلى، الآيتين (6 و7).

(15) الواحدي، الوجيز في التفسير، ص 1194.

(16) انظر: الطبري، جامع البيان، ج24، ص371، والبغوي، معالم التنزيل، ج5، ص242، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص19.

(17) سورة هود، الآية (107).

(18) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص18.

(19) البخاري، الجامع الصحيح، ج4، ص204، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (3624).

(20) البخاري، الجامع الصحيح، ج1، ص8، باب بدء الوحي، رقم الحديث (6).

(21) العسقلاني، فتح الباري، ج9، ص44.

(22) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص212، والقاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج9، ص3964، والطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج12، ص3902.

(23) البخاري، الجامع الصحيح، ج3، ص26، باب: أجود ما كان النبيُّ ، رقم الحديث (1902).

(24) البخاري، الجامع الصحيح، ج6، ص186، باب، رقم الحديث (4998).

(25) انظر: العسقلاني، فتح الباري، ج9، ص44.

(26) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج7، ص456.

(27) قال القسطلاني: «ولعله كان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان أجزاءً، فيقرأ كل ليلة جزءاً في جزء من الليلة، وبقية ليلته لما سوى ذلك من تهجد وراحة وتعهد أهله، ويحتمل أنه كان يعيد ذلك الجزء مرارًا بحسب تعدد الحروف المنزل بها القرآن». القسطلاني، إرشاد الساري، ج7، ص456. وهذا الاحتمال ممكن بعد أن بدأ نزول القرآن على سبعة أحرف، وقد تأخر ذلك إلى السنة السابعة للبعثة أو بعدها.

(28) قال الملا علي القاري: «ولعل سبب المقابلة إبقاء المحافظة، وليظهر الناسخ والمنسوخ من المقابلة، وفيه إشارة إلى استحباب المدارسة». القاري، مرقاة المفاتيح، ج9، ص3964.

(29) انظر: ابن الأثير، النهاية، ج3، ص212، والقاري، مرقاة المفاتيح، ج9، ص3964، والعيني، عمدة القاري، ج16، ص154، والطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، ج12، ص3902.

(30) الصلصلة: «صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين. وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة، ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد، والجرَس مشتق من الجرْس، وهو الحسّ، ويطلق على ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوسًا على البعير، فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحدثت الصلصلة. وقيل: إن الصلصلة صوت خفق أجنحة الملك، والحكمة في تقدمه للوحي أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى مكان لغيره، فالكلام العظيم له مقدمات تأذن بتعظيمه للاهتمام به، وإنما كان شديدًا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع». الموسوعة القرآنية المتخصصة، ج1، ص6.

(31) البخاري، الجامع الصحيح، باب بدء الوحي، ج1، ص6، رقم الحديث (2).

(32) انظر: المارغني، تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن، ص474.

(33) عن أبي بن كعب، أن النَّبيّ كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا. مسلم، الجامع الصحيح المختصر، ج1، ص562، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث 274- (821).

(34) انظر: البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج1، ص164.

(35) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص47، والسمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج4، ص13، والبلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ص50.

(36) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص474، وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص47، والصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج3، ص226.

(37) قال البلادي: التناضب وأضاة بني غفار موضع واحد، الأضاة أرض تمسك الماء فيتكون فيها الطين، والتناضب شجرات في هذه الأضاة، وهي لا زالت مشاهدة على جانب وادي سرف الشمالي، إلى جوار قبر أم المؤمنين ميمونة، وقد صارت التناضب والأضاة أرضًا زراعية لأناس من لحيان، وكلما قطع شجر التنضب عاد أخضر يتنعم، وقد قام بجانبها الغربي حيٌّ اليوم على 13 كيلًا من مكة نحو الشمال... وأضَاة بني غفار، إذا خرجت من سَرِف شمالاً خرجت فيها، بينها وبين قبر أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث مقبرة صغيرة. انظر: البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص64، وشُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص73.

(38) انظر: ابن إسحاق، السير والمغازي، ص266، والسهيلي، الروض الأنف ج7، ص160، والمباركفوري، الرحيق المختوم، ص353.

(39) عن فاطمة رضي الله عنها قالت: «إنه – تعني الرَّسُول – كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي. مسلم، المسند الصحيح المختصر، ج4، ص1905، رقم الحديث 2450، وقريب منه عند النسائي، السنن الكبرى، ج5، ص146، رقم الحديث (7078)، وابن ماجه، السنن، ج1، ص518، رقم الحديث1621.

(40) سورة المائدة، الآية (3).

(41) سورة البقرة، الآية (281).

(42) انظر: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 210، والإتقان في علوم القرآن، ج1، ص101.

(43) انظر: ابن ناصر الدين، سلوة الكئيب بوفاة الحبيب، ج1، ص170.

(44) البغوي، شرح السنة، ج4، ص525، وأبو شامة، المرشد الوجيز، ج1، ص69.

(45) البغوي، شرح السنة، ج4، ص526، وأبو شامة، المرشد الوجيز، ج1، ص69، والزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص237.

(46) الحموي، القواعد والإشارات في أصول القراءات، ص41، والزركشي، البرهان، ج1، ص256.

(47) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص32.

(48) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص23.

(49) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، ص11.
(50) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، ص48.
(51) المارغني، تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن، ص451.
(52) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص28-31.
(53) الزرقاني، مناهل العرفان، ج1، ص250.
(54) ابن قاسم العاصمي، حاشية مقدمة التفسير، ص42.
(55) الكردي، تاريخ القرآن الكريم، ص31.
(56) عن عائشة رضي الله عنها، في سياق حديث الإفك، وهو حديثٌ طويلٌ، قالت: «كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحدٌ من أهل البيت، حتى أُنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثلُ الجمان من العرق في يوم شاتٍ، فلما سُرِّي عن رسول الله وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها، أن قال لي: «يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله»، فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ، فقلت: لا والله، لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم..) الآيات». البخاري، الجامع الصحيح، ج3، ص176، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، رقم الحديث (2661). فهذا الحديث يبين أن عائشة وأباها وأُمها كانوا حاضرين حين نزل الوحي بهذه الآيات من سورة النور، ولكنهم لم يسمعوا شيئًا، حتى انصرف الوحي، وقام الرَّسُول فتلا عليهم الآيات التي تلقاها من جبريل.
(57) الحديث هنا عن رمضان وما بعده من السنة العاشرة، والمسلمون يومئذٍ كثيرون، تعجُّ بهم سككُ المدينة، وتأتي الوفود من سائر أنحاء الجزيرة، وقد أعلن الرَّسُول في ذلك الوقت أنه سيحجُّ، فوفدت وفود كثيرة ممن أسلم راغبين في نيل شرف الرفقة إلى الحج، وكان يأتي الوفود في مضاربهم، فيقرئُهم ويُعلمهم.ففي حديث أوس بن حذيفة الثقفي قال: «قدمنا على رسول الله في وفد ثقيف، ... قال: كان كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، وقال أبو سعيد: قائمًا على رجليه، حتى يراوح بين رجليه من طول القيام...» السجستاني، السنن، ج2، ص55، رقم الحديث (1393)، وابن ماجه، السنن، ج1، ص427، كتاب إقامة الصلاة، رقم الحديث (1345).
(58) كان من شأن الرَّسُول أن يبكي عند تلاوة القرآن الكريم، وتسيل دموعه بغزارة، وذلك لما رُزقه من التدبر والفهم لمعانيه، والتفكر في دلالاته وتوجيهاته، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ على النَّبيّ : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)[سورة النساء، الآية 41]، فقال النَّبيّ : حسبُكَ. فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان. البخاري، الجامع الصحيح، ج17، ص64، بابقول المقرئ للقارئ: حسبك، رقم الحديث (5050). وعن عطاء، قال: (دخلت أنا وعبيد بن عمير، على عائشة فقال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيتِهِ من رسول الله ، قال: فسكتَتْ، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي. قلت: والله إني لأُحِبُّ قُربَك، وأُحِبُّ ما سَرَّكَ. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجْرَهُ، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرضَ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: أفلا أكونُ عبداً شكوراً، لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها(إن في خلق السموات والأرض واختلاف اليل والنهار لآيات لأولي الألباب..)الآية كلها»[سورة آل عمران، الآية 190]. ابن حبان، الصحيح، ج2، ص386، رقم الحديث (620). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب أخلاق النَّبيّ، ج2، ص94، رقم الحديث (533).
(59) هم فقراء المهاجرين الذين لم يكن لهم مأوى إلا المسجد، منهم أبو هريرة وأبو ذر الغفاري وواثلة بن الأسقع. عن أبي هريرة قال: «رأيت ثلاثين رجلًا من أهل الصفة يصلُّون خلف رسول الله ليس عليهم أردية». ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص255-256.
(60) عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قام إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: الحال المرتحل. قال: يا رسول الله وما الحال المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله كلما حل ارتحل». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي. وذكره الترمذي بإسناد آخر عن زرارة بن أوفى مُرسلاً، وذكر أنه أصح من الأول. انظر: الترمذي، السنن، ج5، ص197، وذكره أبو الحسن بن غلبون في كتابه التذكرة في القراءات الثمان، ج2، ص657، عن زرارة عن ابن عباس، ومكي بن أبي طالب في الكشف، ج2، ص392، وابن الجزري في النشر، ج2، ص445 وما بعدها، وفسره في تحبير التيسير، ص621، بقوله: «...فإذا كبَّر في آخر سورة الناس قرأ فاتحة الكتاب وخمس آيات من أول سورة البقرة، على عدد الكوفيين، إلى قوله: (وأولئك هم المفلحون) ثم دعا بدعاء الختمة، وهذا يسمى الحالّ المرتحل».
(61) عن أوس بن حذيفة قال: «قدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في وفد ثقيف.. قال أوس: فسألت أصحاب النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده». ابن ماجه، السنن، ج1، ص427، كتاب إقامة الصلاة، رقم الحديث (1345)، والسجستاني، السنن، ج2، ص55، رقم الحديث (1393). فهذا الحديث يستوعب جميع سور القرآن بعد الفاتحة، مرتبة كما هي في المصحف، كما سيأتي. وكان الرَّسُول يجمع المفصَّل في

ركعة. البرهان في علوم القرآن، للزركشي (258/1). والمفصل: من سورة ق إلى آخر القرآن. ومن التزم بهذا التحزيب أمكنه أن يختم القرآن مرةً في كل جمعةٍ.

(62) عن عبد الله بن عمرو قال: قلت: «يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: اقرأه في كل شهر. قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك. قال: اقرأه في خمسٍ وعشرين. قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك. قال: اقرأه في عشرين. قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك. قال: اقرأه في خمس عشرة. قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك. قال: اقرأه في عشر. قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك. قال: اقرأه في سبع. قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك. قال: لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث». الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، ج11، ص104، رقم الحديث (6546).

(63) سورة المائدة، الآية (67).

(64) انظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص35، مقدمة المحققين: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.

(65) مسلم، المسند الصحيح المختصر، ج1، ص562، باب، رقم الحديث 274- (821).

(66) البخاري، الجامع الصحيح، ج6، ص184، باب، رقم الحديث (4991).

(67) البخاري، الجامع الصحيح، ج5، ص37، باب مناقب زيد بن ثابت، رقم الحديث (3810)، ومسلم، المسند الصحيح المختصر، ج4، ص1914، باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار، رقم الحديث 119- (2465).

(68) ابن بطَّال، شرح صحيح البخاري، ج10، ص242، والعسقلاني، فتح الباري، ج9، ص51، والعيني، عمدة القاري، ج20، ص26.

(69) العسقلاني، فتح الباري، ج9، ص53.

(70) العسقلاني، فتح الباري، ج9، ص194.

(71) انظر: العيني، عمدة القاري، ج20، ص27، والسيوطي، الإتقان، ج1، ص248-249.

(72) النووي، شرح صحيح مسلم، ج16، ص19.

(73) قال البيهقي: «وأحسن ما يحتج به أن يقال إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة الرَّسُول وأخذه عن جبريل فالأولى بالقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول المجتمع عليه. وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم». الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص468. قال الزركشي: «وينبغي تعليمه على التأليف المعهود فإنه توقيفي». الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص456. والسيوطي، الإتقان، ج1، ص380، والسيوطي، معترك الأقران، ج2، ص197.

(74) ابن ماجه، السنن، ج1، ص427، كتاب إقامة الصلاة، رقم الحديث (1345)، والسجستاني، السنن ج2، ص55، رقم الحديث (1393)، وهو حديث حسن. انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ج2، ص269.

(75) البخاري، الجامع الصحيح، ج6، ص185، باب تأليف القرآن، رقم الحديث (4994).

(76) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، ص130.

(77) سورة المائدة، الآية 3.البخاري، الجامع الصحيح، ج1، ص18، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث (45).

(78) سورة البقرة، الآيات 278 – 281. قال ابن عباس: «هذه آخر آية نزلت على النَّبيّ ». البخاري، الجامع الصحيح، ج3، ص59)، باب موكل الربا... ذكره البخاري تعليقا.

(79) سورة البقرة، الآية 282.

(80) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص102.

المصادر والمراجع

الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، د. حسن ضياء الدين عتر، نقلاً عن مقالات الكوثري، مطبعة الأنوار المحمدية.

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، البُستي (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي ت 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ت 739هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1 سنة 1408هـ = 1988م.

أخلاق النَّبيّ وآدابه، الأنصاري (أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني ت 369هـ)، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم، ط1 سنة 1998م.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية بمصر، ط 7 سنة 1323هـ.

أسرار ترتيب القرآن، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ)، دار الفضيلة.

الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت852هـ)، مقدمة المحققين: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 سنة 1415هـ.

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي (مصطفى صادق بن عبد الرزاق ت 1356هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط 8 سنة 1425هـ = 2005م.
البرهان في علوم القرآن، الزركشي (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1 سنة 1376هـ – 1957م.
تاريخ القرآن الكريم، الكردي (محمد طاهر بن عبد القادر المكي الشافعي ت 1400هـ)، مطبعة الفتح – جدة، ط1 سنة 1365هـ = 1946م.
تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ت 833هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان – الأردن –عمان، ط1 سنة 1421هـ – 2000م.
التذكرة في القراءات الثمان، ابن غلبون الحلبيّ(أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم ت 399هـ)، تحقيق: د. أيمن رشدي سويد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم – جدة، ط1 سنة 1412هـ = 1992م.
تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن «مطبوع ضمن كتاب دليل الحيران على مورد الظمآن»، المارغني (إبراهيم بن أحمد التونسي ت 1349هـ)، دار الحديث، سنة 1426هـ – 2005م.
جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 سنة 1420هـ – 2000م.
الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2 سنة 1384هـ – 1964م.
جمع القرآن، محمد شرعي أبو زيد، رسالة ماجستير، كلية الشريعة بجامعة الكويت، سنة 1419هـ.
حاشية مقدمة التفسير (المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ ابن قاسم رحمه الله)، العاصمي (عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القحطاني ت 1392هـ)، ط2 سنة 1410هـ –1990م.
الرحيق المختوم، المباركفوري (صفي الرحمن ت 1427هـ)، دار الهلال – بيروت، ط1.
الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ت 581هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 سنة 1421هـ=2000م.
سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، الصالحي (محمد بن يوسف الشامي ت 942هـ)، تحقيق د. عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت –، ط1 سنة 1414هـ – 1993م.
سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ، ابن ناصر الدين (شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي الشافعي ت 842هـ)، تحقيق: د. صالح يوسف معتوق ود. هاشم صالح مناع، دار البحوث للدراسات الإسلامية – الإمارات.
سنن ابن ماجه، ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، مؤسسة الرسالة، ط1 سنة 1430هـ = 2009م.
سنن الترمذي (الجامع الكبير)، الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت 279هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة 1998م.
السنن الكبرى، النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي ت 303هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1 سنة 1421هـ = 2001م.
سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المطلبي (محمد بن إسحاق بن يسار المدني ت 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1 سنة 1398هـ = 1978م.
السيرة النبوية، المعافري (أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ت 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2 سنة 1375هـ = 1955م.
شرح السنة، البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي ت 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط2 سنة 1403هـ = 1983م.
شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، الطيبي (شرف الدين الحسين بن عبد الله ت 743هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط1 سنة 1417هـ = 1997م.
شرح صحيح البخاري، ابن بطال (أبو الحسن علي بن خلف المالكي القرطبي)، تحقيق: إبراهيم بن سعيد الصبيحي، دار الرشد – الرياض، ط3 سنة 1425هـ.
صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاريّ (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ت 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1 سنة 1422هـ.
صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، القشيري النيسابوري (أبو الحسن مسلم بن الحجاج ت

261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، النووي (أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
الطبقات الكبرى، الهاشمي (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد ت230هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1 سنة 1968م.
عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفى ت 855هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ت 852هـ)، دار المعرفة – بيروت، سنة 1379هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.
القواعد والإشارات في أصول القراءات، الحموي (أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا، ت 791هـ)، تحقيق: د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم – دمشق، ط1 سنة 1406هـ = 1986م.
الكشف عن وجوه القراءات السبع، القيسيّ (مكي بن أبي طالب ت 437هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، ط مجمع اللغة العربية بدمشق.
محاضرات في علوم القرآن، د. غانم قدوري حمد، دار عمّار– عمّان، ط1 سنة 1423هـ=2003م.
المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة (أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ت 665هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار صادر – بيروت، سنة 1395هـ = 1975م.
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد، الملا الهروي ت 1014هـ)، دار الفكر، بيروت – ، ط1 سنة 1422هـ =2002م.
مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ت 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1 سنة 1421هـ = 2001م.
المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، شُرَّاب (محمد بن محمد بن حسن)، دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، ط1 سنة 1411هـ.
معالم التنزيل (تفسير البغوي)، البغوي (محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي ت 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، سنة 1420هـ.
معالم مكة التاريخية والأثرية، البلادي (عاتق بن غيث بن زوير ت 1431هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1 سنة 1400هـ – 1980 م.
معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1 سنة 1408هـ = 1988م.
معجم البلدان، الحموي (أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ت 626هـ)، دار صادر – بيروت، ط2 سنة 1995م.
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، البلادي (عاتق بن غيث بن زوير ت 1431هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1 سنة 1402هـ – 1982م.
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ت 487هـ)، عالم الكتب – بيروت، ط3 سنة 1403هـ.
مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني (محمد عبد العظيم ت 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.
منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ت 833 هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 سنة 1420هـ –1999م.
الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، سنة 1423هـ = 2002م.
النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ت 833 هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.
النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير الجزري (أبو السعادات المبارك بن محمد)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ط1 سنة 1399هـ.
الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الشافعي ت 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، والدار الشامية – دمشق، بيروت، ط1، سنة 1415هـ.
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي (أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي ت 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 سنة 1419هـ.

The Yearly Overview of the Holy Qur'an, The Final Overview of the Holy Qur'an

*Ahmad M. Al-Qudah**

ABSTRACT

This research handles with a very important topic regarding copying and writing the Quranic verses. The final overview of the holy Qur'an by Gabriel to Prophet Mohammad several months earlier than the death of the prophet. Hence; many books entailed that only two or three of the Sahabah (prophet's companions) witnessed the aforementioned overview which transferred to the later Sahabah and so on. The topic is considered to have been a risk in which it is a way to doubt in the narration of Qur'an although it is believed unanimously. As a matter of fact, this research identifies the concept of the final Overview and evidently proves that it is witnessed by hundreds of Sahabah; therefore, no way for doubting the transference or the copying of the holy Qur'an, which is the aim this research seeks.

Keywords: The Yearly and the Final Overview of the Holy Qur'an.

* Faculty of Shari'a, The University Jordan. Received on 1/2/2014 and Accepted for Publication on 17/6/2015.